(مانى) تقضى بأن ترسل على الزانية كلاب تنهشها جهرة تحت سمع الجمهور وبصره ، وعلى الزانى بأن يوضع فوق حديدة محماة يقلى بها قلياً [١] . وتعاقب قوانين حامورابى الزناة بالشنق والاغراق [٢] ؛ وقد كان بنو اسرائيل يحكمون على الزانى غير المحصن بالرجم ، وعلى المحصن بالقتل [٣] . ولاتزال بعض القبائل الهمجية تطبق هذه العقوبات على الزناة فى غير ماشفقة . ففى افريقية الوسطى يجلد الزانى وتهاجم حقوله ومنازله ويسلب ماله . وإذا تبين أحد الأحباش أن أخته أو ابنته ارتكبت الفاحشة قتلها جهرة وقتل عشيقها معها . ولدى الهوتيثوت قانون مشهور يحكم على الزناة بالقتل ضربا بعصا غليظة . وقد اعتاد سكان الهند الشرقية أن يرموا الزناة فى عرض النهر بعد أن يثقلوهم بالحجارة ، فاذا استطاع أحدهم النجاة عفى عنه ، وفى سومطرة يوأد الزانى ويقبر حياً

وهناك نوع خاص من الفحشاء اشتد هوله فقست الجمعية فى محاربته ، وهو ماكان بين أفراد الأسرة القريبين كالرجل وزوجة ابنه ، والمرأة وأب زوجها . ولكى يُدرأ خطر هذا المنكر وضعت فى سبيله عقبات كثيرة تحول دون وقوعه ؛ وهذا هو السر فى أن القبائل الهمجية تباعد بين الأقارب الأقربين ، فى حين أنها لاتجد غضاضة فى أن يختلط الأجانب بعضهم ببعض ، فجماعة البنتو فى افريقية الوسطى لايسمحون مطلقاً للرجل بأن يتناول طعام العشاء مع حماته ، ولا للمرأة بأن تتعشى مع حميها منفردين ، ومن الجرم أن يرى رجل حماته تأكل ؛ وعليه أن يكفر عن هذا بمختلف القرابين ، وليس له أن ينعم النظر فيها ، وإذا خاطبها وجب عليه أن يطأطئ رأسه ويغض من طرفه ، وإن صادفها على غرة أفسح لها الطريق ، وسارع إلى الغابة مختفياً كى لاتراه ولايراها تماماً . وأغرب من هذا أن أهل سومطرة لايبيحون للرجل أن يأكل مع صهره عارى الوجه ؛ وإذا رأى صهره فمه مفتوحاً أحس بخجل عظيم ، وتوارى فى الغابات المجاورة ، فهذه العادات والتقاليد الغريبة يفسرها شىء واحد ، وهو أن هذه القبائل تحول دون أى اختلاط يكون وراءه معصية الأقارب الأقربين

(١) Laws of Manu, VIII, 371 sq.

(٢) Code of Hammurabi, parag. 129,157.

(٣) Deutêrouowe, XXII,22.

البـــدر الحسنى

محدث وفقيه أيضاً

للأستاذ عبد القادر المغربى

عضو مجمع اللغة العربية الملكى

وهى الكلمة التى ألقاها الأستاذ المغربى رئيس المجمع العلمى فى الحفلة الكبرى التى أقيمت على ذكر المحدث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسنى والد فخامة الشيخ تاج الدين رئيس الوزارة السورية ، وذلك فى يوم الثلاثاء ١٣ من أغسطس سنة ١٩٣٥ ، وقد أقيمت الحفلة فى مدرج الجامعة السورية

شيخُنا البدر ، أشبه ما يكون بالبحر : فهو من أىّ النواحى أتيتَه وجدت علماً وفضلا ، ووجدتَ ورعاً وتقوى ، ووجدت من جميل خصاله ومستحبّ أخباره مجالاً للقول ، وموضعاً للعظة ، وموضوعاً للبحث

لكننى لضيق الوقت سأقتصرُ من ترجمة حياته على وصف [١] طريقتنا فى الدروس التى أخذناها عنه ، تعرفون منها أنه كان رحمه الله نسخةً طبق الأصل عن رجال سلفنا الصالح فى وَرَعهم وتقواهم ووقوفهم عند حدود الشريعة

(١) تفصيل وصف هذه الدروس وسيرة الشيخ بدر الدين فى العددين الأخيرين من مجلة المجمع العلمى

نرى بعد الذى تقدم أن الخرافة صورت الزنا والفسق بصورة شنعاء لدى كثير من الشعوب قديمها وحديثها ، وأبرزتهما فى مظهر عاملين خطرين من عوامل القضاء على الفرد والأسرة والجماعة ، وبذا استطاعت إلى حد كبير محاربتهما والقضاء عليهما . وإذا كانت الجمعية تنظر بعين السخط والمقت إلى كل اختلاط جنسى غير مشروع ، فانها تدفع الأفراد تبعاً إلى احترام الزواج والخضوع لقيوده . وكل رأى أو عقيدة أو تشريع يحارب الأباحية هو فى الوقت نفسه سلاح قوى لتثبيت دعائم الحياة الأسرية ؟

(له بقية)

ابراهيم بيومى مدكور
دكتور فى الآداب والفلسفة

في شهر ذي الحجة سنةَ ألفٍ وثلثمائةٍ وأربعٍ وثلاثين بدأتُ بقراءة صحيح مسلم على شيخنا رحمه الله في دار الحديث الأشرفية ، وشاركني في هذه الدراسة قليلٌ من الاخوان ، حتى إذا أتممتُ صحيح مسلم وشرعتُ في سُنن الترمذي ازدحمَ علماءُ دمشق وفضلاؤها على غرفة الدرس ؛ وكنتُ عدا ضبطِ الأحاديثِ والتعليقِ عليها ، ألتقطُ من فم شيخنا بالمناسبة فوائدَ تتعلق بعلم الحديث ، من ذلك قوله :

— كلُّ حديثٍ فيه لفظ (الحمراء) مثل حديثِ (خذوا ثلثي دينكم عن هذه الحمراء) يَعنون عائشةَ رضي الله عنها — فهو دليلٌ على ضعفه

— حديثُ (توسّلوا بجاهي الخ) : قال شيخنا اشتهر على الألسنة وهو غيرُ صحيح

— حديث : إن جبريل كان يدسُّ الطينَ في فم فرعون كي لا ينطقَ بالشهادتين استبعدتُه أنا ، وأقرّني الشيخ قائلا : (الله أعلم بصحة هذا الحديث)

— وسمعتُه مرةً يروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ألهُوا والعبوا فاني أكره أن أرى في دينكم غلظة) وبديهيٌّ أن المراد باللهو واللعب المباحان شرعاً

وبمناسبة حديث الأمةِ التي سألها النبيُّ صلى الله عليه وسلم : أين ربك يا جارية ؟ فأشارت إلى السماء — قال الشيخ : (مرَّ عيسى عليه السلام برجلٍ يصلي وصنعتُه عملُ البراذع وهو يقول في سجوده : (دُلّني يارب على حمارك لأصنعَ له بردعة من ذهب) فاعترضه عيسى . فأوحى الله إليه : (دعهُ فانه مجدّني بحسب عقله)

وكنا أحياناً نلمح في الحديث بصيصاً من معنًى يتعلق بأحوالنا الاجتماعية ، فنريد شيخنا على التوسع في شرحِ الحديث ، فيأبى تورعاً وخشيةَ أن نقعَ في باطلٍ من القول :

جاء في حديث عائشة أن جبريلَ أراه صلى الله عليه وسلم صورتها في قطعةٍ من جيّد الحرير . فتساءلنا في الدرس عما إذا كان هذا الحديث يدلُّ على جواز التصوير ؟ أو على جواز أن يرى الرجلُ من يَوَدُّ خطبتها من النساء : فيكون التصوير حاجةً من حاجات الاجتماع

فقال أحد الاخوان : مادام للرجل الحقُّ أن يرى خطيبته نفسها فليس ثم حاجةٌ إلى رؤية صورتها . فرد عليه آخر بأنه قد يتفق أن يكون هو في بلدٍ وهي في بلد آخر فيحملَ اليه البريدُ صورتها ، كما حمل جبريلُ صورةَ السيدة عائشة

كان يجري هذا الحوارُ في الدرس وشيخنا ساكت وأردناه على أن يفيدنا ما عنده في هذا الموضوع فلم يفعل ، وظل ساكتاً . واستدرجتُه مرةً إلى موضوع عصريّ طريف فأفتى به أو كاد . ثم عاد إلى الاعتصام بالسكوت :

ذلك أنه مرَّ معنا في حديث مسلم قوله : (لِمَ ؟ أُصلي فأتيمم) ، فقرأتها (لمْ أصلي فأتيمم) واستشكلت رفع (أصلي) ، فقال الشيخ (لمَ) للاستفهام لا للجزم ، وأصلي مستأنف مرفوع

فاغتنمت هذه الفرصة وقلت له : إنهم اليوم اصطلحوا على علامات يرقمونها بين الجمل ، ويسمونها علامات التنقيط : وهي نقطة ، ونقطتان ، وواو صغيرة كالضمة ، وخط صغير أفقي ، وخط آخر عمودي ، وغير ذلك مما يستعملونه في مقامات التعجب والاستفهام والوقف

فقولُ الحديث (لِمَ أُصلّي فأتيمم) ؛ لو وُضعتْ علامة الاستفهام بعد (لمَ) لقرئت استفهاماً من أول الأمر

فهل يجوز لنا استعمالُ هذه العلامات المستحدثة في كتاباتنا كما استعمل السلف الصالح ما أحدثوه من النقط والتشكيل ؟

قال الشيخ : يجوز ، قلتُ ونستعملُها في كتب الحديث ؟ قال يجوز ، قلت وفي القرآن . قال يجوز

ثم سألني قائلاً : ولكن لماذا لم ترقم هذه العلامات في كتاب مسلم المطبوع الذي نقرؤه ؟ قلتُ لأنه كتابٌ دينيٌّ . وطابعوه يخشون إنكارَ بعض العلماء عليهم فلا يباع الكتاب ، فلم يضعوا هذه العلامات ، واجتهدتُ أن لا أسميها له بأسمائها الأفرنجية مثل (Point) (Virgule) فلحظ الشيخُ أن في الأمر سراً ، فتبسم وضرب على كتفي وقال : « الله يسلمك » ولم يُردْ أن يُفتي بشيءٍ جديدٍ قد يمكن أن تكون فيه شائبة بدعة

إلى هذا الحد كان شيخُنا رضي الله عنه يحرصُ على سلامة الدين ويحذرُ أن يتسرّب إليه شيءٌ من البدع

ومن ذلك أيضاً أنه مرَّ معنا في الحديث نهيُ النبي صلى الله عليه وسلم عن تشييدِ المساجد ، وفسر ابنُ عباسٍ التشييد بالزخرفة ، فقال بعض الأخوان : المرادُ بالتشييد رفعُ بناء المساجد . فقلتُ بل الصحيحُ ما قاله ابنُ عباس من أن التشييد هو الزخرفة

وهو مشتقٌ من (الشـيد) الذى معناه الجصّ ، والجصّ عادة تزخرف به الأبنية . أما رفع بنـاء المساجد فأمرٌ مستحبٌ فى عمارتها ، وذلك لكى يتخلّلها الهواء ويَسْهُل التنفّسُ على المصلين ، فالتفتَ إلىّ الشـيخُ وقال مبتسماً : وما دخل الهواء والتنفس فى الدين والتشريع ؟ وعجبَ من قولى أشدّ العجب

* * *

أما أن الشيخَ كان متوسعاً فى اللغة العربية ؛ فهذا يُلحظُه منه كلُّ من أطالَ مُجالسته ، وراجعه القولُ فى تفسير غريب الحديث ؛ ولـكنه رحمه الله ما كان يُكثر من الاستشهاد بنصوص الأدباء ، ولا بأقوال الشعراء ، لما يقعُ فيها أحياناً من اللغو وعَبَث القول

وقد سمعتُه مرةً يُنشد بنغمة حزينة :

(أيا نجدُ لو كان النوى منك مرةً
صَبَرنا ولـكنّ النوى منكَ دائم)

وأنشدنى مرةً أخرى :

صديقُ الصدقِ فى الدنيا قليل
فمنْ لكَ إنْ ظَفِرتَ به فمن لك
لحاجته يَوَدُّكَ كلُّ شخصٍ وذاكَ إذا قضاها منك ملك
صديقُكَ مَنْ إذا ما كنتَ منه
طلبتَ الروحَ بالتمليكِ مَلّك

وجاء يوماً ذكرُ طرابلس الشام وليمونها فسألنى : ما معنى قولهم فى المثل (مَنْ لم يجىء بشراب الليمون يجىء بشوكه وحَطَبه) فتجاهلتُ الجواب لأسمعَ من فمه ولو مرةً تفسيرَ النصوص الأدبيـة — كما سمعتُ منه مراراً تفسير النصوص الدينيـة

ففسره لى قائلاً :

المرادُ بشوكه وحَطَبه قُضبانُه وعيدانه . والمعنى من لم يجىء باللين واللطف يجىء بالشدّة والعُنف

وأنشدنى يوماً قولَ الراجز :

(التمرُ والسمنُ جميعاً والأقِط
الخيسُ إلاّ أنه لم يختلط)

فاعترضتُ بأن الخيسَ هو حلوى للعرب تكون مختلطةً من التمر والسمن والأقط الذى هو ضربٌ من الجبن فكيفَ يقولُ الشاعر (لم يختلط) . ثم قلتُ للشيخ لعلّ صحةَ الروايةِ فى البيتِ هكذا : (لـكنْ شرطُه أن يختلط) . ثم راجعت كُتُبَ اللغة فوجدتُ روايةَ البيت كما قال شيخنا رحمه الله ورأيتُ علماءَ اللغة استشكلوا البيتَ كما استشكلته أنا . وأجابَ بعضهم على هذا الاشكال بجوابٍ لم يُعجبنى

ومن عادةِ شيخنا رحمه الله أنه إذا طَلَبَ منه أحدٌ إجازةً بالعلوم تمنّعَ وتمثّل بقول القائل

(ولستُ بأهلٍ أن أُجازَ فكيفَ أنْ
أُجيزَ ولـكنّ الحقائق قد تخفى)

وأنقلُ من مذكراتِ شاعرنا (خليل بك مردم)

— وكان رفيقى فى درس صحيح مسلم — هـــذا الخبرَ الذى يتعلّقُ بى ، وقد أنسيتُه أنا وهو : أننى قرأتُ يوماً على الشيخ عدةَ أحاديثَ يدلُّ ظاهرها على عَدَم إيمان أبى طالب . فأطبقتُ الكتابَ بين يَدَىّ وسألت شيخنا عن حقيقةِ ذلك وأبيتُ إلا كلمةً صريحةً منه يطمئنُّ إليها القلبُ فى إيمان عمّ النبىّ صلى الله عليه وسلم . فامتعضَ الشيخُ من إلحاحى ، وقالَ سبحانَ الله يا شيخ عبد القادر أنت كاتبٌ وأديب ، أما سمعتَ ما قاله (أبو طالب) مخاطباً النبىّ صلى الله عليه وسلم ودهوتنى وزعمتَ أنك ناصحٌ ولقد صدقتَ وكنتَ ثَمّ أميناً فأنتَ تسمعُ أبا طالبٍ يقولُ لابن أخيه (ولَقَدْ صَدقت) ثم تستشكل ؟

فسررت بعلم الله بجواب شيخنا كما سرنى استظهاره للشعر القديم واستحضاره له حين الحاجة اليه

ولا عَجَبَ أن يكونَ شيخُنا لغوياً ، فانه لا يكادُ يوجد محدّث إلا وهو لُغَوىّ ، ولا لُغَوىّ إلا وهو محدّث ؛ لأن المحدّث لا يمكنه أن يفهمَ معانىَ أحاديثِ الرسول إلا بعد فهمِ معنى كلماتها اللغوية ، واللغوىُّ لا ترسخُ قدمه فى اللغة مالم يستظهر الجمَّ الكثيرَ من أحاديث الرسول ، تكون له عُدّةً فى الاستشهاد بها حين الحاجة فاللغوىُّ المتقنُ محدّث ، والمحدث المتقنُ لُغوى

وشيخُنا الذى يحفظُ على أقل تقدير خمسة آلاف حديث

يحفظ على أقل تقدير ألف كلمة لغوية بشواهدها من كلام النُّبوة

فأنتم ترَوْنَ أن بين شيخنا البدْر ، وبين مجمعنا العلمي العربي نسبةً موصولةَ السبب في خدمة لغة العرب

هو (رحمه الله) كان ينشر اللغة العربية بواسطة دروسه المشهورة ، ونحن ننشرها بوسائطنا المجمعية المعروفة

أذكُرُ أنه زارني يوماً في دار المجمع العلمي ، فأجلستُه في صحن المدرسة ، خشية أن يرى في ردهتها صُوَرَ المتوفين من أعضاء المجمع ، معلَّقةً على جُدرانها ، فيمتنعَ عن الدخول كما هي عادته

وبعد أن استقرَّ به المجلس سألني : وماذا تصنعون هنا ؟

قلت : إننا يا مولانا نشتغلُ في خدمةِ اللغةِ العربية ونشرِها وفي ذلك خدمة للدين الاسلامي ونشرِه

وإذا أحدُ تلاميذه (اللطفاء) يَلمَسُ كَتِفَه منَ ورائه ، ويشير إلى التماثيل الحجرية المنصوبة في أحد أركان المدرسة ، فقال لي الشيخ : وما هذه التماثيل ؟ وأشار اليها بأصبعه

فشعرتُ إذ ذاك بخطورة الموقف ، وبصعوبة الاعتذار عن وجودِ تماثيلَ في صحنِ مدرسةٍ دينية اسلامية ؛ غير أن الله ألهمني جواباً تضمَّن حقيقةً معقولة ، لكنها ويا للأسف منسيةٌ مجهولة

فقلت : إن هذه التماثيل تجْمَعُ في دوْر الآثار للاستدلال بها على تاريخ الجاهلية الأولى ، ويدخل في ذلك عبادةُ تلك الأمم للتماثيل ، وإرسالُ الرسل لانقاذهم من تلك العبادة ، كما كان من نبينا صلى الله عليه وسلم مذ أنقذَ أهلَ الجاهلية من الشرك ، وصَقَلَ نفوسهم بصقالِ التوحيد

ولكنَّنا اليوم نرى الناسَ قد أغفلوا دراسة هذه الناحية من تاريخ الأمم القديمة ، ونسوا نعمةَ الله عليهم بالبعثة المحمدية ، حتى إذا رأوا هذه التماثيل في المتاحف تذكَّروا النعمة ، وحمدوا الله عليها

قلتُ هذا وسكتُّ منتظراً ماذا يقول الشيخ ؟ فلم يقل إلا خيراً وتبسم ودعا لي وللمجمع

رَحِمَ الله شيخَنا البَدْر ، وأثابَه عن حياتِه الصالحة بأجزل الأجر . . . ؟

المغربي

استعطاف

بقلم رفيق فاخوري

هواكَ عن هذا الوجودِ شاغلي ... والوجدُ منذ غبتَ عني واصلي
إبعثْ مَوَاتَ خاطري بزورةٍ ... واخطُ خُطا الظلال في الخمائل

واحملْ إلى قلبي الكليم باسماً ... وشافياً من عَطفك الممنَّع
ما سَرَّني أنَّ النعيم قسمتي ... إنْ لم تكن في ناظري ومسمعي

لأنتَ حسبي مِنْ ضياه إن دجا ... يومي، وحسبي من هُدًى في حَيرتي
رُدَّ على عيني جَلاءها ومُرْ ... يَسطعْ مُحيَّاكَ على دُجُنَّتي

وينحسرْ عن مقلتي سهادُها ... يا طالما منعتَها رقادَها !
عِدْني أعشْ إلى غدٍ بنظرةٍ ... عابثةٍ كم أخلفتْ ميعادَها !

وبَسْمةٍ تُفعمني ولم تَقُلْ ... شيئاً ، وإنما البيانُ في الصُّوَرْ
إذا عَلَتْ ثغرَكَ فَدَّاها الحشا ... بِدَمِهِ ثم مشى على الأثر

وهمسةٍ أرقَّ من نَفْحِ الصَّبا ... تسكُنُ في أُذْنَيَّ ما عاش الهوى
تألفُها جوارحي فكلُّها ... أُذْنٌ ، ويَنزاح عن الصدر الجوى

يا مُنيةَ الولهان صِلْ بعد النوى ... أوْ لا فَخُذْ قلبي وخُذْ لسانيا
هذا شغلتَهُ بذِكْرِ دائمٍ ... وذاكَ قد أسهرتَه الليالي

حمص — رفيق فاخوري

طموح

للأستاذ محمود غنيم

خليليَّ هل للمجد حدٌّ فأنتهي ... إليه لقد طال العبورُ ولم أُرَس
مآربُ تترى ، كلما نلتُ مأرباً ... تنازعُني عنه إلى غيره نفسي

فلا النفسُ إن أبلُغْ تقنعْ عند غايةٍ
ولا هي إن أُخفِقْ تُرخِّ بالياس

كذلك أشقى ما حييتُ فإن أمت
فيا ليت شعري ما ورائي في رمسي

محمود غنيم